تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام الرسل أجمعين، وعلى آله وصحبه المكرمين.

وبعد: فإن للفقيه المسلم في عالم مفتوح متعدد المذاهب والأديان مهمةً صعبةً، عليه أن يكون فيها كرُبَّان سفينةٍ عملاقة، تجتاز البحار والبلاد المختلفة، حتى يكون هادياً بأمان وسلام، ومحققاً لرسالته ومسيرته في الحياة باطمئنان، وملبياً لطموحات الأمة المسلمة باعتدال في كل زمان ومكان، من أقصى المعمورة إلى أقصاها، من اليابان إلى أوربة وأمريكة، ومن مجتمع الشرق في روسية والصين والدول الإسلامية المجاورة والمنتشرة بين تلك الديار، إلى أقاصي آسية، ومختلف أرجاء القارة الإفريقية التي يعدُّ المسلمون فيها بنسبة أربعة أخماس شعوبها، مروراً بالعالَمَيْن العربي والإسلامي في الشرق الأوسط أو الأدنى، والأقصى.

وإنني واحد من أئمة العلم الذي ينتقل في رحاب المجامع الفقهية الشرعية في كل عام مرة فأكثر، ويشارك في المؤتمرات الإسلامية المتنوعة المهام، فأجد السلوة والسعادة في الإسهام فيها، سواء في عالم الفقه أم

obeikandl.com

في عالم الفكر، وسواء في القضايا الجزئية الفقهية، أم في القضايا الكبرى التي يمر بها العالم الإسلامي في الوقت المعاصر، فمرة في فقه عام، وتارة في فقه خاص، وحيناً في قضايا الأمة الكبرى، وأخرى في مسائل متخصصة، سواء في بيان حكم الموضوع الواحد، أم بالحوار في عالم الصحافة والمنتديات.

ويجد القارئ في بحث كل هاتيك الأوضاع والمشكلات الطارئة في الوسط الإسلامي محطة تستوقفه وترشده إلى الطريق الأقوم، والمنهج الأعدل، والنظر الأدق، فتزول من ذهنه آفاق المتاهات والاحتمالات، ويرسو في نهاية المطاف إلى ميناء السلامة والنجاة ومعرفة الحكم الأسلم.

وأجد نفسي ملزماً بحمل نفسي على اجتناء آفاق المعرفة من مصادرها الأصلية الخالدة، مع مراعاة مقتضيات التطور والمعاصرة، والأعراف المتجددة، ومعطيات الأحداث العلمية الحاضرة، المحيطة بقضايا الأمة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية وغيرها.

وإنني أريد أن ألقى الله تعالى بعد الارتحال عن هذا العالم المتخبط في دياجير الظلمة والمصلحة والهوى وإيثار الذات، وقد أديت الأمانة، وأبلغت الكلمة الهادية، وأسهمت في حلِّ ما نتعرض له من مشكلات، وما يسيئنا من تحديات.

والمهم جداً في عالم المسيرة العلمية الإسلامية أن يسهم الإنسان المؤمن الواعي في كبح جماح غرائب الفتاوى والآراء المرتجلة والمواقف الشاذة التي لم يسبق لها مثيل، لأن الحق أحق أن يُتبَع، وأما الباطل أو الشذوذ أو الانحراف فسرعان ما يتبدد إذا أنصف قادة الفكر الإسلامي أنفسهم وأمتهم، وحموا شريعتهم ومبادئ دينهم وأصوله من الذوبان والانهيار.

إن منهجي هو إحقاق الحق ومقاومة الزيغ والانحراف عن هدي الله تبارك وتعالى، فالقضية أو المشكلة المهيمنة الآن في الساحة العلمية لا تكمن في اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب، وإنما في تجاوز معطيات الحق الصراح، وليِّ أعناق النصوص، والزعم بأن من أفتى أو نصح أو أرشد هو مجدِّد زمانه، ولم يدرك أن التجديد ليس في الهدم، وإنما في البناء وصونه وحمايته من كل سوء، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ١٠٥].

أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي

obeikandl.com